The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Colossians 2:1-10	كولوسي 2: 1–10
#C2610_Pt.1	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 342
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ صَديقي المُستَمِع في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَج الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم".

في حَلْقَةِ اليوَم، سَنُتابِعُ بِمَشيئَةِ الربِّ دِراسَتَنا لِرِسالَةِ بُولُسَ الرَّسول إلى أهْلِ كُولوسي. وَمَا نَأمَلُهُ وَنَرْجوهُ مِنْ أعْماقِ قُلوبِنا هُوَ أنْ تَكونَ، عَزيزي المُسْتَمِع، قَدْ تَبارَكْتَ، واسْتَفَدْتَ، وَحَقَّقْتَ نُضْجًا في عَلاقَتِكَ بالربِّ يَسوعَ المَسيح مِنْ خِلالِ هَذِهِ التَّفسيراتِ وَالتأمُّلات.

وَالآنْ، إنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على الأصْحاحِ الثَّاني مِنْ هَذا السِّفْرِ النَّفيس وَهَذِهِ الرِّسالَةِ العَظيمَةِ (أي الرِّسَالَةِ إلى أهْلِ كُولوسي). أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمَا نَرْجوهُ مِنْكَ يا صَديقي هُوَ أنْ تُصْغي بِروحِ الخُشوعِ وَالصَّلاة.

والآنْ، نَتْرُكُكُمْ أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين مَعَ دَرْسٍ جَديدٍ مِنَ رِسالَةِ بُولُسَ الرَّسولِ إلى أهْلِ كُولوسي ابْتِداءً بالأصْحاحِ الثَّاني وَالعَدَدِ الأوَّل؛ دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي "تشك سميث":

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

كُنَّا قَدْ ذَكَرْنا، أعِزَّاءَنا المُستمعين، أنَّ الرَّسولَ بولُسَ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أنْ زَارَ مَدينَةَ كُولوسي وَلَمْ يَرَ مُؤمِني كولوسي وَجْهًا لِوَجْهٍ. فَقَدْ سَمِعَ عَنِ الكَنيسَةِ مِنْ خادِمِ الربِّ "أبَفْراس". فَقَدْ أخْبَرَهُ أبَفْراسُ عَنْ مَحَبَّةِ هؤلاءِ المُؤمِنينَ للربِّ يَسوعَ المَسيحِ وَعَنْ إيمانِهِم. وَلَكِنَّهُ أخْبَرَهُ في الوَقْتِ نَفْسِهِ عَنْ وُجودِ بِدَعٍ وَهَرْطَقاتٍ تُحاوِلُ اخْتِراقَ الكَنيسَةِ. لِذلكَ فَقَدْ كَتَبَ الرَّسولُ بولسُ رِسالَتَهُ هَذِهِ إلى مُؤمِني الكَنيسَةِ في كُولوسي لِتَحْذيرِهِمْ مِنْ تِلْكَ الضَّلالاتِ.

وَهُوَ يَقولُ لَهُمْ في الأصْحاحِ الثَّاني وَالعَدَدِ الأوَّل:

فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَيَّ جِهَادٍ لِي لأَجْلِكُمْ، وَلأَجْلِ الَّذِينَ فِي لاَوُدِكِيَّةَ، وَجَمِيعِ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْا وَجْهِي فِي الْجَسَدِ،

يَتَحَدَّثُ بولسُ الرَّسولُ هُنا عَنِ الصِّراعِ الدَّاخِلِيِّ الذي كانَ لَدَيْهِ مِنْ جِهَتِهِم، وَعَنْ مَحَبَّتِهِ لَهُم. فَقَدْ كانَ شَوْقُ قَلْبِهِ هُوَ أنْ يَلْتَقي بِهِمْ وَأنْ يَراهُمْ وَجْهًا لِوَجْهٍ. وَبالرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ رُؤيَتِهِ لَهُمْ، فإنَّهُ يَخوضُ جِهادًا لأجْلِهِمْ. وَالكَلِمَةُ التي يَسْتَخْدِمُها بولسُ هُنا بِمَعْنى الجِهادِ تَحْمِلُ مَعْنىً عَميقًا. فَهيَ تُشيرُ إلى الكَرْبِ الشَّديدِ. وَالمَقْصودُ هُنا هُوَ أنَّهُ كانَ يُصَلّي لأجْلِهِمْ بِحَرارَة. فَقَدْ كانَ شَديدَ القَلَقِ عليهِمْ بِسَبَبِ البِدَعِ وَالهَرْطَقاتِ المُنْتَشِرَةِ كَالدَّاءِ الخَبيثِ في كُلِّ مَكان.

وَنَرى هُنا أنَّ البِدَعَ والهَرْطَقاتِ لَيْسَتْ شَيئًا حَديثًا، بَلْ هِيَ مَوْجودَةٌ دائِمًا. وَمِنْ دَواعي الأسَفِ الشَّديدِ أنَّ أُناسًا كَثيرينَ يَنْجَذِبونَ إلى هَذِهِ البِدَعِ وَالهَرْطَقاتِ، وَيُصَدِّقونَها، وَيَعْتَنِقونَها، وَيُدافِعونَ عَنْها. لِذلكَ، مَا أحْوَجَنا إلى التمسُّكِ بالحَقِّ الكِتابِيِّ الذي أعْلَنَهُ اللهُ لَنا مِنْ خِلالِ كَلِمَتِهِ المُقَدَّسَةِ أيْ مِنْ خِلالِ الكِتابِ المُقَدَّس.

لذلكَ، كانَ بولُسُ الرَّسولُ يُجاهِدُ جِهادَ الصَّلاةِ لا لأجْلِ المُؤمِنينَ في كُولوسي فَحَسْب، بَلْ وَأيْضًا لأجْلِ المُؤمِنينَ فِي لاوُدِكِيَّة، وَلأجْلِ جَميعِ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْا وَجْهَهُ في الجَسَد. وَالإشارَةُ هُنا هِيَ إلى تِلْكَ المُدُنِ الثَّلاثِ في وَادي "لِيكُوس" وَهِيَ: لاوُدِكِيَّة، وَهيرابوليس، وَكُولوسي. فَقَدْ كانَتْ هُناكَ كنائِسُ في تِلْكَ المُدُنِ الثَّلاثِ المُتَقارِبَة جُغْرافِيًّا. وَكانَ بولُسُ دائِمَ التَّفْكيرِ فيهِمْ وَيُجاهِدُ لأجْلِهِمْ مِنْ خِلالِ الصَّلاةِ. فَمَعَ أنَّهُ كانَ يَتوقُ إلى الذَّهابِ إلى تِلْكَ المُدُنِ لمُواجَهَةِ المُعَلِّمينَ الكَذَبَةِ وَالرَّدِّ على بِدَعِهِمْ وَهَرْطَقاتِهِمْ وَتَعاليمِهِمِ المُضِلَّةِ، فإنَّ وُجودَهُ في السِّجْنِ مَنَعَهُ مِنْ ذَلِك. لِذا فإنَّهُ يَتْرُكُ الأمْرَ بينَ يَدَي اللهِ الحَيِّ وَيُصارِعُ في الصَّلاةِ بِلَجاجَةٍ لأجْلِهِمْ.

مِنْ جِهَةٍ أُخرى، كانَ هُناكَ جِهادٌ آخَرُ وَصِراعٌ آخَرُ يَدورُ في ذِهْنِ الرَّسولِ بولُس. فَقَدْ كانَ مَسْجونًا بانْتِظارِ المُثولِ أمامَ الإمبراطور نيرون. وَكانَ بولسُ يَعْلَمُ أنَّ تِلْكَ المُحاكَمَةَ قَدْ

تُفْضي إلى الحُكْمِ عَلَيْهِ بالإعْدامِ. وَكانَتِ الوَسيلَةُ الوَحيدَةُ للنَّجاةِ مِنَ الإعْدامِ هِيَ أنْ يُنْكِرَ الربَّ يَسوعَ المَسيح. وَلَكِنَّ بولسَ كانَ يُدْرِكُ تَمامًا أنَّ إنْكارَهُ ليسوعَ المَسيحِ لَهُ عَواقِبُ وَخيمَة. صَحيحٌ أنَّ إنْكارَهُ ليسوعَ المَسيحِ قَدْ يُنَجّي حَياتَهُ، وَلَكِنَّهُ سَيَخْذِلُ المُؤمِنينَ الآخَرينَ وَيُوْهِنُ عَزيمَتَهُمْ.

لِذا فَقَدْ كانَ بولسُ يُجاهِدُ أيْضًا لأجْلِ مَنْ كانُوا يَنْظُرونَ إليهِ كَقائِدٍ وَأبٍ في الإيمان. فَقَدْ كانَ هُناكَ أشْخاصٌ كَثيرونَ يَتَطَلَّعونَ إليهِ، وَيَسْتَمِدُّونَ القُوَّةَ مِنْ صُمودِهِ وَرُسوخِهِ في الإيمان. لِذلكَ، ليتَ الربَّ يُعْطينا أنْ نُجاهِدَ الجِهادَ الحَسَنَ دائِمًا، وَأنْ نَكونَ شُهودًا أُمَناءَ للربِّ يَسوعَ المَسيحِ الذي تألَّمَ وَمَاتَ لأجْلِنا.

ثُمَّ يَقولُ بولسُ الرَّسولُ في رِسالَتِهِ إلى أهلِ كُولوسي 2: 2 و 3:

لِكَيْ تَتَعَزَّى قُلُوبُهُمْ مُقْتَرِنَةً فِي الْمَحَبَّةِ لِكُلِّ غِنَى يَقِينِ الْفَهْمِ، لِمَعْرِفَةِ سِرِّ اللهِ الآبِ وَالْمَسِيحِ، الْمُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ.

إذًا، فَقَدْ كانَ الرَّسولُ بولسُ يُصَلّي لأجْلِهِمْ "لِكَيْ تَتَعَزَّى قُلوبُهُمْ" أيْ لِكَيْ تَتَشَجَّعَ قُلوبُهُمْ في مُواجَهَةِ البِدَعِ، وَالهَرْطَقاتِ، وَالتَّعاليمِ المُضِلَّةِ، وَجَميعِ المَواقِفِ العَصيبَةِ.

وَقَدْ كانَ يُصَلّي أيْضًا لِكَيْ يَتَّحِدَ المُؤمِنونَ مَعًا بِرِباطِ المَحَبَّةِ. فَبِمَعْزِلٍ عَنِ المَحَبَّةِ، لا تُوْجَد كَنيسَة. فيسوعُ المَسيحُ هُوَ إلهُ المَحَبَّةِ. وَهُوَ يُوْصينا بأنْ يُحِبَّ بَعْضُنا بَعْضًا.

وَيُصَلّي بولسُ لأجْلِهِمْ أيْضًا "لِكُلِّ غِنَى يَقِينِ الفَهْمِ" أيْ: "لِبُلوغِ المَعْرِفَةِ العَمَلِيَّةِ والاخْتِباريَّةِ في الحَياةِ المَسيحيَّةِ". بعبارةٍ أُخرى، فإنَّهُ يُصَلّي لأجْلِهِمْ لِكَيْ يَفْهَموا كَلِمَةَ اللهِ فَهْمًا عَمَلِيًّا يُمَكِّنُهُمْ مِنْ تَطْبيقِها في حَياتِهِم اليوميَّةِ وَفي جَميعِ المَواقِفِ التي يُواجِهونَها.

وَهُوَ يُصَلّي لأجْلِهِمْ "لِمَعْرِفَةِ سِرِّ اللهِ الآبِ وَالمَسيح، المُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ". فَقَدْ كانَ الغَنوسْطِيُّونَ يَزْعُمونَ أنَّهُمْ وَضَعوا أسْرارَ الحِكْمَةِ في أسْفارٍ مَخْفِيَّةٍ عِنْ عُيونِ النَّاس. ولَكِنَّ بولسَ الرَّسولَ يَقولُ لِهؤلاء إنَّ جَميعَ كُنوزِ الحِكْمَةِ وَالعِلْمِ ليستْ مُخَبَّئَةً في كُتُبٍ سِرِّيَّةٍ، بَلْ هِيَ مُذَخَّرَةٌ في المَسيحِ يَسوع وَمُتاحَةٌ لِكُلِّ مَنْ يَقْبَل يَسوعَ مُخَلِّصًا لِحَياتِهِ.

وَيُتابِعُ بولسُ رِسالَتَهُ إلى أهْلِ كُولوسي قائِلًا في الأصْحاحِ الثّاني وَالعَدَدِ الرَّابِع:

وَإِنَّمَا أَقُولُ هذَا لِئَلاَّ يَخْدَعَكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ مَلِق.

كَما ذَكَرْنا، يا أحِبَّائي، فَقَدْ كانَتِ الغَنوسْطِيَّةُ (أو الفَلْسَفَةُ الأدْرِيَّةُ) واحِدَةً مِنَ البِدَعِ وَالهَرْطَقاتِ المُنْتَشِرَةِ في مَدينَةِ كُولوسي في ذَلِكَ الوَقْت. وقَدْ كانَ الغَنوسْطِيُّونَ يَزْعُمونَ أنَّهُمْ أصْحابُ المَعْرِفَةِ الفائِقَةِ. وَكانُوا يُحِبُّونَ الحَديثَ عَنِ الأمورِ "السِّرِيَّةِ" وَيَقولونَ إنَّ المَرْءَ لا

يَسْتَطيعُ فَهْمَ تِلْكَ الأسْرارِ إلَّا إذا انْضَمَّ إليهِمْ. لِذلكَ، فَقَدْ كانَ الرَّسولُ بولسُ يُصَلّي لأجْلِ المُؤمِنينَ في كُولوسي مِنْ أجْلِ مَعْرِفَةِ "سِرِّ اللهِ الآبِ وَالمَسيحِ، المُدَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ". وَكانَ بولسُ قَدْ تَحَدَّثَ في الأصْحاحِ الأوَّلِ وَالعَدَدَيْنِ السَّادِسِ وَالعِشْرين وَالسَّابِعِ وَالعِشْرين عَنِ "السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ وَمُنْذُ الأجْيَالِ، لكِنَّهُ الآنَ قَدْ أُظْهِرَ لِقِدِّيسِيهِ، الَّذِينَ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هذَا السِّرِّ فِي الأُمَمِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ". أجَلْ يا صَديقي! فالمَسيحُ هُوَ رَأسُ الكَنيسَةِ. وَإنْ فَهِمَ المُؤمِنونَ ذلِكَ لَنْ يَنْخَدِعوا بالبِدْعَةِ الغَنْوسْطِيَّةِ أوْ غَيْرِها. فالمَسيحُ هُوَ الطَّريقُ، وَالحَقُّ، وَالحَياة!

كَمْ هُوَ مُؤسِفٌ أنْ نَرى مُؤمِنينَ كَثيرينَ يُعانونَ في حَياتِهِمِ المَسيحيَّةِ بِسَبَبِ عَدَمِ تَيَقُّنِهِمْ مِنْ خَلاصِهِمْ. وَقَدْ أرادَ بولسُ لمِؤمِني كولوسي أنْ يَكونوا مُتَيَقِّنينَ مِنْ خَلاصِهِمْ. وَقَدْ تَتَساءَلُ، صَديقي المُسْتَمِع، قائِلًا: "لكِنْ كَيْفَ يُمْكِنُني أنْ أتَيَقَّنَ مِنْ خَلاصي؟" يُمْكِنُكَ ذلِكَ، يا صَديقي، مِنْ خِلالِ إيمانِكَ الرَّاسِخِ بِما عَمِلَهُ يَسوعُ المَسيحُ لأجْلِكَ على الصَّليب. فإذا كُنْتَ تَتَّكِلُ في تَبْريرِكَ قُدَّامَ اللهِ على أعْمالِكَ الصَّالِحَةِ وَجُهودِكَ الشخصيَّةِ، لَنْ تَحْظى بِهَذا اليَقين. أمَّا إذا اتَّكَلْتَ على نِعْمَةِ اللهِ المُخَلِّصَةِ وَمَقامِكَ في المَسيحِ يَسوع، فَستَكونُ مُتَيَقِّنًا تَمامًا مِنْ خَلاصِكَ.

لقَدْ كانَ الرَّسولُ بولسُ يَأمَلُ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ أنْ يَكونَ لِدى أهْلِ كُولوسي هَذا اليَقين في خَلاصِهِمْ مِنْ خِلالِ فَهْمِهِم لِسِرِّ المَسيحِ. فالمَسيحُ يَسْكُنُ فينا وَيَعْمَلُ فينا. وَهَذا هُوَ رَجاءُ المَجْدِ الذي لَنا دائِمًا في شَخْصِ رَبِّنا الحَبيبِ يَسوعَ المَسيح.

لِذلكَ، يَقولُ بولسُ هُنا: "وَإِنَّمَا أَقُولُ هذَا لِئَلاَّ يَخْدَعَكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ مَلِق". بعبارةٍ أُخرى، فإنَّهُ يَقولُ مَا يَقول لِتَحْذيرِهِمْ مِنْ مَكْرِ أصْحابِ البِدَعِ وَالهَرْطَقاتِ وَخُبْثِهِمْ. فَمَعَ أنَّ كَلامَ هَؤلاءِ قَدْ يَكونُ بَرَّاقًا في ظاهِرِهِ، فإنَّهُ يَحْمِلُ سُمًّا مُميتًا.

وَيُتابِعُ بولسُ الرَّسولُ رِسالَتَهُ إلى أهْلِ كولوسي قائِلًا في الأصْحاح الثَّاني والعَدَدِ الخامِس:

فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ غَائِبًا فِي الْجَسَدِ لكِنِّي مَعَكُمْ فِي الرُّوحِ، فَرِحًا، وَنَاظِرًا تَرْتِيبَكُمْ وَمَتَانَةَ إِيمَانِكُمْ فِي الْمَسِيحِ.

إذًا، مَعَ أنَّ الرَّسولَ بولسَ لَمْ يَكُنْ مَعَ مُؤمِني كولوسي في الجَسَدِ، فإنَّهُ يُؤكِّدُ لَهُمْ أنَّهُ مَعَهُمْ في الرُّوحِ. فَقَدْ كانَ دائِمَ الاطِّلاعِ على المُشْكِلاتِ وَالأخْطارِ المُحْدِقَةِ بِهِمْ. وَهُوَ يَصِفُ نَفْسَهُ بأنَّهُ كانَ فَرِحًا بِرُؤيَةِ رُسوخِهِمْ، وَثَباتِهِمْ في الإيمان، وَأمانَتِهِمْ للربِّ. وَهُوَ يَسْتَخْدِمُ هُنا مُصْطَلَحَيْنِ مُسْتَخْدَمَيْنِ في الحَياةِ العَسْكَرِيَّةِ وَهُما: التَّرْتيبُ وَالمَتانَة. فَعِنْدَما كانَ الضَّابِطُ يَتَفَقَّدُ الجُنودَ، كانَ يَحْرِصُ على تَقْييمِ النِّظامِ وَالتَّرْتيبِ في صُفوفِ الجَيْش. وَمِنْ جِهَةٍ ثانِيَةٍ، كانَ يَحْرِصُ على تَفَقُّدِ مَتانَةِ الجَيْشِ وَتَماسُكِهِ. وَقَدْ فَرِحَ بولسُ لَمَّا رَأى أنَّ مُؤمِني كولوسي كانوا يَمْتَلِكونَ هاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ المُهِمَّتَيْن: التَّرْتيبُ وَالمَتانَةُ. وَيا لَيْتَ كُلَّ كَنيسَةٍ تَتَحَلَّى بِهاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ الجَوْهَرِيَّتَيْن!

ثُمَّ يَقولُ بولسُ الرَّسولُ في العَدَدِ السَّادِس:

فَكَمَا قَبِلْتُمُ الْمَسِيحَ يَسُوعَ الرَّبَّ اسْلُكُوا فِيهِ،

نُلاحِظُ هُنا، صَديقي المُستمع، أنَّ الرَّسولَ بولسَ يَحُضُّ مُؤمِني كولوسي على الاسْتِمرارِ في السُّلوكِ في الحَقِّ. فَكَما أنَّهُمْ قَبِلوا رُبوبيَّةَ المَسيحِ يَسوعَ على حَياتِهِمْ، يَنْبَغي أنْ يَسْتَمِرُّوا في الاعْتِرافِ بِرُبوبيَّتِهِ عَلَيْهِم. وَبِهَذا فَهُوَ يُحَذِّرُهُمْ مِنَ الانْخِداعِ بالتَّعاليمِ المُضِلَّةِ التي يُعَلِّمُها المُعَلِّمونَ الكَذَبَة. فالكِتابُ المُقَدَّسُ يُحْوي كُلَّ ما يُريدُ اللهُ أنْ يَقولَهُ لَنا، وَكُلَّ مَا نَحْتَاجُ إليهِ لِنَحْيا حَياةَ التَّقوى التي يُريدُها لَنا.

لِذا فإنَّنا لَسْنا في حَاجَةٍ إلى أيِّ إعْلانٍ جَديدٍ. بَلْ نَحْنُ في حَاجَةٍ إلى التأصُّلِ في كَلِمَةِ اللهِ لأنَّ فيها كُلَّ الكِفايَةِ لِحَياتِنا. لِذَلِكَ، بَعْدَ أنْ يُحَذِّرَهُمُ الرَّسولُ بولسُ مِنْ أصْحابِ اللِّسانِ المَعْسولِ والكَلامِ البَرَّاقِ الخادِعِ، فإنَّهُ يَحُضُّهُمْ على السُّلوكِ في المَسيحِ الذي قَبِلوهُ رَبًّا وَمُخَلِّصًا لِحَياتِهِم.

وَهُوَ يُتابِعُ حَديثَهُ قائِلًا في العَدَدِ السَّابِع:

مُتَأَصِّلِينَ وَمَبْنِيِّينَ فِيهِ، وَمُوَطَّدِينَ فِي الإِيمَانِ، كَمَا عُلِّمْتُمْ، مُتَفَاضِلِينَ فِيهِ بِالشُّكْرِ.

الحَقيقَةُ هِيَ أنَّ الكَلِمَة "مُتَأصِّلينَ" التي يَسْتَخْدِمُها الرَّسولُ بولسُ تُسْتَخْدَمُ عادَةً لِوَصْفِ الشَّجَرَةِ التي تَضْرِبُ بِجُذورِها عَميقًا في الأرْضِ. فَالمَسيحُ هُوَ التُّرْبَةُ الخِصْبَةُ التي غُرِسَتْ فيها نَبْتَةُ إيمانِنا عِنْدَما قَبِلْناهُ مُخَلِّصًا لِحَياتِنا. وَهُوَ التُّرْبَةُ التي تَمْتَدُّ فيها جُذورُنا وَنَسْتَمِدُّ مِنْها الغِذاءَ والثَّباتِ في وَجْهِ الرِّياحِ العَاتِيَة.

أمَّا الكَلِمَة "مَبْنِيِّين" فإنَّها تُسْتَخْدَمُ في مَجالِ البِناءِ لِوَصْفِ البَيْتِ المُقامِ على أساسٍ قَوِيٍّ وَمَتين. لِذلكَ، كَما أنَّ الشَّجَرَةَ تَتَأصَّلُ في أعْماقِ الأرْضِ وَتَسْتَمِدُّ مِنْها الغِذاءَ وَالثَّباتَ، يَجِبُ على المُؤمِنِ المَسيحيِّ أنْ يَتَأصَّلَ في المَسيحِ يَسوعَ وَأنْ يَسْتَمِدَّ مِنْهُ الحَياةَ وَالقُوَّةَ. وَكَما أنَّ البَيْتَ يَقومُ على أساسٍ مَتين، يَجِبُ على المُؤمِنِ المَسيحيِّ أنْ يَبْني إيمانَهُ على قُوَّةِ المَسيحِ المُقامِ مِنَ الأمواتِ. فَالمَسيحُ هُوَ مَصْدَرُ حَياتِنا وَقُوَّتِنا وَثَباتِنا.

وَيُشَجِّعُ الرَّسولُ بولسُ المُؤمنينَ في كَنيسَةِ كولوسي على الامْتِلاءِ بِروحِ الشُّكْرِ المُتفاضِلِ أي المُتزايد. لِذا، يَنْبَغي لَنا كَمُؤمِنينَ مَسيحيِّينَ أنْ نَشْكُرَ اللهَ دائِمًا على وُجودِهِ في حَياتِنا، وَعلى نِعْمَتِهِ الغَنِيَّةِ وَبَرَكاتِهِ التي لا تُعَدُّ وَلا تُحْصى في حَياتِنا.

وَيُذَكِّرُ الرَّسولُ بولسُ مُؤمِني كولوسي بأنَّ هَذا هُوَ مَا تَعَلَّموهُ في الأصْلِ قائِلًا لَهُمْ: "مُتَأصِّلِينَ وَمَبْنِيِّينَ فِيهِ، وَمُوَطَّدِينَ فِي الإِيمَانِ، كَمَا عُلِّمْتُمْ". بِعِبارَةٍ أُخرى، فإنَّهُ يُذَكِّرُهُمْ بأنَّ جُذورَهُمَ الحَقيقيَّةَ هِيَ في المَسيحِ يَسوع. وَحَيْثُ إنَّهُمْ قَدِ اتَّكَلوا على الربِّ يَسوعَ المَسيحِ في خُلاصِهِمْ، لا يَجْدُرُ بِهِمْ أنْ يَتَّكِلوا على أعْمالِ الجَسَدِ لأنَّ الخَلاصَ هُوَ بِنِعْمَةِ اللهِ.

ثُمَّ يَقولُ بولسُ الرَّسولُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ كولوسي 2: 8:

أُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ.

إذًا، فَقَدْ كانَ هُناكَ خَطَرانِ رَئيسيَّانِ يَتَهَدَّدانِ المُؤمِنينَ في كُولوسي: الخَطَرُ الأوَّلُ هُوَ الفَلْسَفَةُ البشريَّةُ. فَعلى ما يَبْدو، كانَ المُعَلِّمونَ الكَذَبَةُ يَقولونَ إنَّ الحَقَّ الذي نَادى بِهِ المَسيحُ لَمْ يَكُنْ كافِيًا، بَلْ يَحْتاجُ إلى فِكْرٍ فَلْسَفِيٍّ يُكَمِّلُهُ. وَمَعَ أنَّ الفَلْسَفَةَ لَيْسَتْ شَرًّا في ذاتِها، فإنَّها قَدْ تَصيرُ كَذَلِكَ عِنْدَما تَدْعو النَّاسَ إلى الاتِّكالِ على فَهْمِهِمْ وَفِعْلِ مَا يَرَوْنَهُ مُناسِبًا على حِسابِ الاتِّكالِ على اللهِ وَفِعْلِ مَشيئَتِهِ.

أمَّا الخَطَرُ الثَّاني الذي كانَ يَتَهَدَّدُ الكَنيسَةَ فَهُوَ التَقاليدُ البشريَّةُ التي يَصِفُها الرَّسولُ بولسُ بأنَّها "غُرورٌ باطِلٌ". لِماذا؟ لأنَّها لَيْسَتْ حَسَبَ المَسيحِ، بَلْ هِيَ تَعاليمٌ بَشَرِيَّةٌ وَأُمورٌ نابِعَةٌ مِنَ الفِكْرِ البَشَرِيِّ البَعيدِ عَنْ رُوْحِ اللهِ. لِذا فإنَّ الرَّسولَ بولسَ يُحَذِّرُ المُؤمِنينَ مِنْ تأثيرِ تِلْكَ الفَلْسَفاتِ وَالتَّقاليدِ البشريَّةِ التي لَيْسَتْ بِحَسَبِ المَسيحِ يَسوع.

وَهُوَ يَقولُ عَنِ المَسيحِ يَسوعَ في العَدَدِ التَّاسِع:

فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا.

أجَلْ يا صَديقي! فالمَسيحُ هُوَ كُلُّ شَيءٍ. وَفيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللَّاهوتِ جَسَدِيًّا. وَقَدْ كانَ كَلامُ بولسَ هَذا مُوَجَّهًا إلى أصْحابِ الفَلْسَفَةِ الغَنوسْطِيَّةِ الذينَ أنْكَروا لاهوتَ المَسيح. فَعِنْدَ التَّجَسُّدِ، لَمْ يَتَّحِدْ جُزْءٌ مِنَ اللَّاهوتِ مَعَ جَسَدِ المَسيحِ، بَلْ إنَّ اللَّاهوتَ بِأسْرِهِ اتَّحَدَ بِجَسَدِهِ. فَمَعَ أنَّ المَسيحَ إنْسانٌ كَامِلٌ، فإنَّهُ أيْضًا إلَهٌ كامِلٌ. وَقَدِ اسْتَمرَّ اللَّاهوتُ مُتَّحِدًا بالنَّاسوتِ على الدَّوام. فَلَمْ تَأتِ لَحْظَةٌ واحِدَةٌ انْفَصَلَ فيها اللَّاهوتُ عَنِ النَّاسوتِ. فاللَّاهوتُ بِمِلْئِهِ حَالٌّ في المَسيحِ مُنْذُ الأزَل.

وَأخيرًا، يَقولُ بولسُ الرَّسولُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ كُولوسي 2: 10:

وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ، الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ.

وَلَيْتَ اللهَ يُساعِدُنا، أحِبَّاءَنا المُستمعينَ، على إدْراكِ حَقيقَةِ أنَّنا مَمْلوءونَ فيهِ. فَخَلاصُنا كَامِلٌ في المَسيحِ يَسوع. وَبِرُّنا كَامِلٌ فيهِ لأنَّنا لا نَسْتَطيعُ أنْ نُضيفَ لَهُ شَيئًا. فَنَحْنُ كَامِلونَ فيهِ لا مِنْ جِهَةِ حَالَتِنا، بَلْ مِنْ جِهَةِ مَقامِنا فيهِ. فَإنْ نَظَرْنا إلى حَالَتِنا فإنَّنا خُطاةٌ وَنَسْتَحِقُّ المَوْتَ. وَأمَّا مِنْ جِهَةِ مَقامِنا في المَسيحِ يَسوع، فإنَّنا أولادُ مَلِكَ المُلوكِ وَرَبِّ الأرْبابِ. فَالمسيحُ يَسوعُ فيهِ كُلُّ الكِفايَةِ. وَكما أنَّ كُلَّ مِلْءِ اللَّاهوتِ حَالٌّ في المَسيحِ يَسوع، فإنَّ المُؤمنَ المَسيحيَّ يَمْتَلِكُ في المَسيحِ يَسوعَ كُلَّ مَا يَحْتاجُ إليهِ للحَياةِ وَالتَّقوى.

وَيَصِفُ بولسُ الرَّسولُ السيِّدَ المَسيحَ بأنَّهُ "رَأسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ". وَهُوَ يَعْني بِذَلِكَ أنَّ المَسيحَ هُوَ رأسُ كُلِّ الكائِناتِ الرُّوحِيَّةِ. فَعِنْدَما خَلَقَ اللهُ المَلائِكَةَ أعْطاها رُتَبًا مُخْتَلِفَةً. وَقَدْ كانَ الشَّيْطانُ في الأصْلِ مَلاكًا بِرُتْبَةٍ عَالِيَةٍ. وَمِنَ الوَاضِحِ أنَّ المَلائِكَةَ كانَتْ تَتَمَتَّعُ بإرادَةٍ حُرَّةٍ كالبَشَرِ. لِذلكَ فَقَدِ اخْتارَ هَذا المَلاكُ أنْ يَتَمَرَّدَ على اللهِ. وَقَدْ تَبِعَهُ في تَمَرُّدِهِ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ المَلائِكَةِ مِنْ رُتَبٍ مُخْتَلِفَة.

وَسواءٌ كانَ بولسُ يُشيرُ هُنا إلى المَلائِكَةِ الذينَ حَافَظوا على وَلائِهِمْ للهِ، أمْ إلى المَلائِكَةِ الذينَ سَقَطوا بِسَبَبِ تَمَرُّدِهِمْ على اللهِ، فإنَّ هَذا لا يَهُمُّ كَثيرًا. فيسوعُ المَسيحُ هُوَ رَأسُ كُلِّ رِياسَةٍ وَسُلْطانٍ. فَالشَّيْطانُ لا يَسْتَطيعُ أنْ يَفْعَلَ أيَّ شَيْءٍ لا يَسْمَحُ اللهُ بِهِ. لِذلكَ، لا يَجوزُ لَنا أنْ نَتَخَيَّلَ أنَّ الشَّيْطانَ نِدٌّ للهِ. فَهُوَ ليسَ كَذَلِكَ البَتَّة. فالشَّيْطانُ مَخْلوقٌ وَمَحْدودُ القُدْرَةِ. أمَّا السيِّدُ المَسيحُ فَهُوَ اللهُ القادِرُ على كُلِّ شَيءٍ. وَهُوَ صَاحِبُ السِّيادَةِ والسُّلْطانِ على الكَوْنِ وَما فيه.

وَلأنَّ أصْحابَ البِدْعَةِ الغَنوسْطِيَّةِ كانُوا مُنْهَمِكينَ دَائِمًا بالحَديثِ عَنِ المَلائِكَةِ، فإنَّ بولسَ يَقولُ هُنا إنَّ يَسوعَ المَسيحَ هُوَ رأسُ كُلِّ رِياسَةٍ وَسُلْطانٍ. فَهُوَ خَالِقُ الكُلِّ. وَهُوَ الربُّ والسيِّدُ المُطْلَقُ على الكُلِّ. آمين!

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

في الحَلْقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم"، سَيُتابِعُ الرَّاعي "تْشَك سميث" دِراسَتَهُ لِهَذِهِ الرِسالَةِ العَظيمَةِ بِمَشيئَةِ الربِّ! لِذَا، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ بِرِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة كَيْ تَنالَ كُلَّ بَرَكَةٍ وَفائِدَة.

وَالآنْ، نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، مَع كَلِمَةٍ خِتاميَّة.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

نَشْكُرُكَ، يا أبانا، على كَلِمَتِكَ الحَيَّةِ وَعلى الحَقِّ الثَّمين الذي تُعَلِّمُنا إيَّاهُ كُلَّ يَوْمٍ. وَنُصَلِّي، يا رَبُّ، أنْ يَكونَ كَلامُكَ سِراجًا لأرْجُلِنا وَنُورًا لِسَبيلِنا في كُلِّ وَقْتٍ. وَصَلاتُنا أيْضًا هِيَ أنْ نَسْلُكَ في نُوْرِ حَقِّكَ الثَّمين مُقْتَدينَ الوَقْتَ لأنَّ الأيَّامَ شِرِّيرَة. وَصَلاتُنا، يا رَبُّ، هِيَ أنْ نَسْتَغِلَّ كُلَّ فُرْصَةٍ سَانِحَةٍ لِكَيْ نَخْدِمَكَ وَنَتَعَمَّقَ في مَعْرِفَتِكَ وَكَلِمَتِكَ أكْثَرَ فأكْثَر. باسْمِ يَسوعَ المَسيح. آمين!